أهمية دراسة المكي والمدني:

دراسة المكي والمدني من الآيات لا غنى عنها: "لأن معرفة ذلك طريق ضروري لمعرفة الناسخ والمنسوخ من الأحكام، ولا يمكن لفقيه أن يعرف الحكم الشرعي إلا بعد أن يدرس الناسخ والمنسوخ، لكي يصل إلى الحكم النهائي الذي استقر عليه الأمر، بالإضافة إلى هذا فإن معرفة المكي والمدني من الآيات تقودنا برفق في مسيرة الدعوة في رحلة طويلة من بداية المرحلة المكية التي بدأت بعد البعثة إلى نهاية العصر المدني الذي توقف بوفاة الرسول ﷺ، ولكل مرحلة زمنية خصائصها وموضوعاتها وأساليبها وأولوياتها. ومن خصائص التشريع الإسلامي أنه نزل متدرجا، وكانت الآيات القرآنية تنزل على النبي ﷺ مواكبة لمسيرة المجتمع الإسلامي، محتضنة ذلك المجتمع الوليد، مصححة مسيرته، ومؤكدة سداد طريقه، حاضة إياه على الصبر والتضحية، راسمة له معالم الطريق، مشرعة أحكاما ضرورية لاستقامة أمره، ناصحة له أن يتكافل ويتعاون ويتناصر في سبيل الدفاع عن عقيدته. ومن الطبيعي أن يتوجه اهتمام العلماء والباحثين إلى معرفة المكي والمدني من الآيات، لمواكبة مسيرة الدعوة، ولرصد ذلك التدرج المحكم للتشريع، من بدء الرسالة إلى نهايتها.

أهم الأنواع التي يتدارسها العلماء في هذا المبحث هي:

١- ما نزل بمكة.

٢- ما نزل بالمدينة.

٣- ما اختُلِفَ به.

٤- الآيات المكية في السور المدنية.

٥- الآيات المدنية في السور المكية.

٦- ما نزل بمكة وحكمه مدني.

٧- ما نزل بالمدينة وحكمه مكي.

٨- ما يشبه نزول المكي في المدني.

٩- ما يشبه نزول المدني في المكي.

١٠- ما حُمل من مكة إلى المدينة.

١١- ما حُمل من المدينة إلى مكة.

١٢- ما نزل ليلًا وما نزل نهارًا.

١٣- ما نزل صيفًا وما نزل شتاءً.

١٤- ما نزل في الحَضَر وما نزل في السَّفَر.

فهذه هي الأنواع الأساسية، التي يرتكز محورها على المكي والمدني، ولذا سُمِّي هذا بـ "علم المكي والمدني".

عناية العلماء بالمكي والمدني:

قد عُنِيَ العلماء من بعد الصحابة والتابعين بتحقيق المكي والمدني في القديم والحديث عناية فائقة، فتتبعوا القرآن آية آية، وسورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين في ذلك الزمان والمكان والخطاب، لا يكتفون بزمن النزول، ولا بمكانه، بل يجمعون بين الزمان والمكان والخطاب، وهو تحديد دقيق يعطي للباحث المنصف صورة للتحقيق العلمي في علم المكي والمدني، وهو شأن علمائنا في تناولهم لمباحث القرآن الأخرى.

١ – وقد أفرد عدد من العلماء المكي والمدني بالتأليف قديماً منهم: مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي ت٤٣٧هـ، وعبد العزيز بن أحمد بن سعد الدميري المعروف بالديريني ت ٦٩٤هـ([1]).

٢ – كما ظهرت دراسات حديثة منها:

– خصائص السور والآيات المكية ومقاصدها د. أحمد عباس البدوي.

– خصائص السور والآيات المدنية وضوابطها ومقاصدها لـ "عادل محمد صالح أبو العلا.

٣ – لا يخلو كتاب من كتب علوم القرآن القديمة والحديثة من الحديث عن هذا الموضوع، وتفصيل القول حول أهم النقاط التي تتعلق به، مما يدل على أهميته.

٤ — أخيرًا فقد جعله العلماء من العلوم الواجبة على المفسر تعلمها، ويحرم عليه إن جهلها أن يتكلم في كتاب الله، مما يدل على اهتمام العلماء بهذا العلم تلك الفوائد الكثيرة التي نص عليها العلماء، وهي فوائد لا غنىً لمعلم، أو متعلم، أو فقيه، أو داعية عنها (٢) ولذلك لا يخلو تفسير لكتاب الله تعالى من التعرض للمكي والمدني من الآيات والسور.

الطريق لمعرفة المكي والمدني:

لا سبيل إلى معرفة المكي والمدني من الآيات إلا عن طريق الصحابة الذين كانوا يتابعون نزول الوحي، ويعرفون تاريخ نزول كل آية، والأسباب المؤدية إلى النزول. يقول القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار: "إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين إذا لم يرد عن النبي ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به"(٣)، قال عبد الله بن

---

[1] – مما يؤسف له فقد هذين السفرين الجليلين.

[2] – المدخل لعلوم القرآن الكريم د. إسماعيل عبد الستار الميمني ص٤٨.

[3] – الاتقان ٢٣/١.

مسعود ﷺ: "وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَت، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ"(٤).

وروي أن علي بن أبي طالب كان يقول على المنبر نحوه: "سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بالنهار، أفي سهل أم في جبل". فأمر معرفة المكي والمدني سماعي عن الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم شاهدوا الوحي ونزوله، وعرفوا مكانه وزمانه، وقولهم في ذلك له حكم المرفوع عن النبي ﷺ لأن ذلك مما لا مجال للرأي فيه، فإذا صح القول عن الصحابي قبل ولا يعدل عنه إلّا بدليل أقوى يقتضي هذا العدول.

وقد ألحق الباقلاني قول التابعي فجعله كقول الصحابي، لأن كبار التابعين قد شاهدوا من شاهد نزول الوحي، ونقلوا إلينا أقوالهم، فإذا ما أخبرونا بأن هذه الآية مكية قبل قولهم، وقد قبل الإمام الشافعي مراسيل كبار التابعين في الحديث، أفلا يقبل إخبارهم بمكان نزول الآيات.

سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: (نزلت في سفح ذلك الجبل)، وأشار إلى سلع، فإخبار عكرمة بذلك لا يكون إلّا إذا سمعه من الصحابة الذين عرفوا هذا المكان، فأخبروه بما رأوا وسمعوا، ولا أدل على ذلك من أن ابن مسعود ﷺ على الرغم من القول الذي نقل عنه في معرفة زمان ومكان النزول، إلّا أن ما روي عنه نزر يسير، وهو إذا لم يكتم علمًا في معرفته نفع للأمة، فإنه يكون قد علّمه إلى من سمع منه من التابعين رضوان الله عليهم. يبقى القول في بعض الآيات التي اختلف في زمن وموطن نزولها، هذه الآيات قلائل، وقد أمكن معرفتها وفق معايير دقيقة، كالنظر في طابع الآيات المكية والمدنية، وميزات كل منها ومدى انطباق الآيات عليها، أو بالتتبع التاريخي لسير الدعوة الإسلامية ومقتضيات كل مرحلة، أو قرائن أخرى يعرفها المتمرس في القرآن وعلومه، والله أعلم(٥).

الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني:

معرفة المكي والمدني وبيان الفرق بينهما:

اعتمد العلماء في معرفة المكي والمدني على منهجين أساسيين: المنهج السماعي النقلي، والمنهج القياسي الاجتهادي. قال الجعبري: "لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي"، ولا شك أن السماعي يعتمد على النقل، والقياسي يعتمد على العقل، والنقل والعقل هما طريقا المعرفة السليمة والتحقيق العلمي.

---

[٤] – المدخل إل علوم القرآن محمد فاروق نبهان ص ٩٢–٩٣ بتصرف. وراجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ٢٣١/١.

[٥] – المنار في علوم القرآن د. محمد علي الحسن ص ٩٤–٩٥,

ركائز المنهج السماعي:

يرتكز المنهج السماعي النقلي على الرواية الصحيحة عن الصحابة الذين عاصروا الوحي، وشاهدوا نزوله، أو عن التابعين الذين تلقوا عن الصحابة وسمعوا منهم كيفية النزول ومواقعه وأحداثه، ومعظم ما ورد في المكي والمدني من هذا القبيل، وفي الأمثلة السابقة خير دليل على ذلك، وقد حفلت بها كتب التفسير بالمأثور، ومؤلفات أسباب النزول، ومباحث علوم القرآن، ولم يرد عن رسول الله ﷺ شيء في ذلك، قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في "الانتصار": "إنما يُرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين، ولم يرد عن رسول الله ﷺ في ذلك قول لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم ومعرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول"(٦).

فعن عبد الله بن عباس أنه قال: "كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك. وكنت لا آتي أحدا منهم إلا سرّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ. فجعلت أسأل أبيّ بن كعب يوما، وكان من الراسخين في العلم، عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة"(٧)

ركائز المنهج القياسي:

يرتكز المنهج القياسي الاجتهادي على خصائص المكي وخصائص المدني، فإذا ورد في السورة المكية آية تحمل طابع التنزيل المدني أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا إنها مدنية، وإذا ورد في السورة المدنية آية تحمل طابع التنزيل المكي أو تتضمن شيئًا من حوادثه قالوا إنها مكية، وإذا وُجِدَ في السورة خصائص المكي قالوا إنها مكية، وإذا وُجِدَ فيها خصائص المدني قالوا إنها مدنية، وهذا قياس اجتهادي، ولذا قالوا مثلًا: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية، وكل سورة فيها فريضة أو حد مدنية، وهكذا.

وقد وردت أمثلة لذلك عن الصحابة رضي الله عنهم

فعن عبد الله بن مسعود، ﷺ، قال: «كل شيء في القرآن يا أَيُّهَا النَّاسُ أنزل بمكة، وكل شيء في القرآن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أنزل بالمدينة» (٨). لكن لاحظ بعض

---

٦ – الإتقان ٢٣/١.

٧ – الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع ٣٧١/٢.

٨ – المستدرك: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري١٨/٣، دلائل النبوة: أحمد بن الحسين البيهقي١٤٤/٧.

العلماء أن (يا أيها الناس) منه مكي ومنه مدني وأكثره مكي (٩).

و عن عروة بن الزبير، قال: «ما كان من حدّ أو فريضة أنزلها الله عز وجل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون أنزل بمكة» (١٠) ولا شك أن ذلك عدا البقرة وآل عمران.

قال ابن جزي الغرناطي المفسر ت ٧٤١ هـ: "واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد، والرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء، وأن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي ﷺ، وحيث ورد: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني، وأما يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني".

من ضوابط المنهج القياسي التي استنبطها العلماء:

١ – كل سورة مبدوءة بقسم فهي مكية، وهي خمس عشرة سورة هي "الصافات، الذاريات، الطور، النجم، المرسلات، النازعات، البروج، الطارق، القمر، الشمس، الليل، الضحى، التين، العاديات، العصر".

٢ –كل سورة في أولها حروف التهجي فهي مكية سوى سورة البقرة وآل عمران، فإنهما مدنيتان بالإجماع، وفي الرعد خلاف.

٣ – كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية.

٤ – كل سورة فيها ذكر الجهاد، أو الحث عليه، أو توضيح أحكامه فهي مدنية.

٥– "كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ماعدا سورة العنكبوت. والتحقيق أن سورة العنكبوت مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى منها فإنها مدنية– وهي التي ذكر فيها المنافقون"(١١).

٦ – كل سورة فيها ذكر أهل الكتاب ومجادلتهم فهي مدنية.

٧ – كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية سوى البقرة وآل عمران، قال التّابعيّ الجليل عروة بن الزّبير: ما كان من ذكر الأمم والقرون والعذاب، فإنّه أنزل بمكّة، وفي رواية عنه: "إنّي لأعلم ما نزل من القرآن بمكّة، وما أنزل بالمدينة، فأمّا ما نزل بمكّة فضرب الأمثال وذكر القرون، وأمّا ما نزل بالمدينة فالفرائض والحدود والجهاد"(١٢).

---

[٩] – ينظر: كتاب البيان: أبو عمرو الداني ص ١٣٢، البرهان: الزركشي١/ ١٨٨.

[١٠] – دلائل النبوة ٧/ ١٤٤.

[١١] – الحديث في علوم القرآن والحديث حسن محمد أيوب ص ٢٦–٢٧.

[١٢] – أخرجه أبو عبيد في: الفضائل ص: ٣٦٧، وابن أبي شيبة في المصنّف رقم: ٣٠١٣١ بالرّواية الأولى، وإسناده صحيح.

٨ – كل سورة فيها ﴿يا أيها الناس﴾ وليس فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهي مكية كيونس وفاطر أما إذا انفردت فيها ﴿يا أيها الذين آمنوا ﴾فهي مدنية.

٩ – كل سورة فيها لفظ «كلا» فهي مكية، وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة كلها في النصف الأخير من القرآن. قال الديريني رحمه الله:

وما نزلت «كلا» بيثرب فاعلمن... ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى

قال العمّاني: «وحكمة ذلك أن نصف القرآن الأخير نزل أكثره بمكة، وأكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والتعنيف لهم والإنكار عليهم، بخلاف النصف الأول. وما نزل منه في اليهود لم يحتج إلى إيرادها فيه لذلتهم وضعفهم.

١٠ – كل سورة فيها سجدة فهي مكية وهي (١٤) سجدة، سوى سورة الحج، فهي مدنية، أما سورة ص فليست من عزائم السجدات وهي مكية لا مدنية.

١١ – كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة أيضا.

١٣ – كل سورة من المفصل فهي مكية. أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: «نزل المفصل بمكة فمكثنا حججًا نقرأه ولا ينزل غيره» لكن يردّ على هذا: أن بعض سور المفصل مدني نزل بعد الهجرة اتفاقا كسورة «النصر»، فإنها كانت من أواخر ما نزل بعد الهجرة، بل قيل إنها آخر ما نزل، كما في مبحث «أول ما أنزل وآخر ما أنزل»، فالأولى أن يحمل كلام ابن مسعود هذا على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا على جميع سور المفصل، والمفصّل على وزن معظّم: هو السور الأخيرة من القرآن الكريم مبتدأة من سورة الحجرات على الأصح، وسميت بذلك لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها، وقيل سميت بذلك لقلة المنسوخ فيها، فقولها قول فصل: لا نسخ فيه ولا نقض(١٣).

---

[١٣] – نقل السيوطي في الإتقان أقوالا كثيرة في تعيين السور المكية والمدنية، من أوفقها ما ذكره أبو الحسن الحصار في كتابه «الناسخ والمنسوخ» إذ يقول: «المدني– باتفاق– عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وما عدا ذلك مكي بالاتفاق». ثم نظم في ذلك أبياتا رقيقة جامعة، وهو يريد بالسور العشرين المدنية بالاتفاق: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والجمعة، والمنافقون، والطلاق، والتحريم، والنصر. ويريد بالسور الاثنتي عشرة المختلف فيها سورة الفاتحة، والرعد، والرحمن، والصف، والتغابن، والتطفيف، والقدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، والإخلاص، والمعوذتين. ويريد بالسور المكية باتفاق ما عدا ذلك وهي اثنتان وثمانون سورة. وإلى هذا القسم المكي يشير في منظومته بقوله:

وما سوى ذاك مكيّ تنزّله ... فلا تكن من خلاف الناس في حصر

فليس كل خلاف جاء معتبرا ... إلا خلاف له حظ من النظر

سمات وخصائص المكي والمدني:

لكل من المكي والمدني خصائص وسمات يعرف بها لا يكاد يتجاوزها؛

فمن خصائص المكّي:

١ – الدّعوة إلى التّوحيد، وإثبات الرّسالة، وإثبات اليوم الآخر، والوعد والوعيد، وجدال المشركين بالبراهين العقليّة والآيات الكونيّة.

٢ – تشريع أصول العبادات، والمعاملات، والأخلاق التي يقوم عليها المجتمع، والتي دعت إليها كل الديانات السماوية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)﴾ [سورة النحل] كما تتناول فضح جرائم المشركين وما كانوا عليه من سوء العادات كسفك الدماء، ووأد البنات، وأكل أموال اليتامى والضعفاء ظلماً ونحو ذلك..

٣ – ذكر قصص الأنبياء والأمم السّابقة زجراً وعظة للمشركين، وتحذيرًا لهم أن ينالهم ما نال سابقيهم من العذاب، وذكر القصص أيضًا لتثبيت النّبيّ ﷺ والمؤمنين، ولتسليتهم عما نالهم على أيدي المشركين.

٤ – قصر الفواصل بين الآي، مع قوّة الوقع في الألفاظ والإيجاز في العبارة وبلاغة المعنى في أسلوب يكثر فيه التأكيد، والتهديد، والوعيد، وضرب الأمثال، وتكرار بعض الجمل والآيات، لمواجه جبروت الكفار والمشركين بآيات تنذرهم وتحذرهم من عاقبة كفرهم وطغيانهم.

٥ – "أظهر القرآن لأهل مكة قبح ما كانوا عليه من السير، وما انغمسوا فيه من الموبقات وقبيح العادات كالزنا والقتل وأكل مال اليتامى. ودعاهم إلى كريم الخصال، وحبّب إليهم الإيمان ونبذ المعاصي والرحمة والمحبة والإخلاص والبر بالوالدين والأقربين. والخلاصة أن القرآن الكريم رسم لهؤلاء العرب الجفاة التعجرفين مثلا أعلى في العقيدة النقية، والسلوك الإنساني الرفيع"(١٤).

ومن خصائص المدني:

١ – تفصيل العبادات: كالصلاة والصيام والزكاة، والمعاملات: كالنكاح، والطلاق، والبيوع والحدود: كحد الزنا، والقذف، والسرقة، ونظام الأسرة، وسائر شرائع الإسلام ممّا يتناسب التّكليف به مع واقع التّمكّن للمجتمع المسلم؛ مع إظهار قانون الدّولة الإسلاميّة.

وقد جرى هذا البيت مجرى الأمثال عند أهل العلم. اه. ويراجع الحديث في علوم الحديث: حسن محمد أيوب ص٢٦-٢٧.

[١٤] – في علوم القرآن محمد عبد السلام كفافي ص ٥٦.

٢ – التّركيز على دعوة أهل الكتاب وشرح أحوالهم وبيان ضلالهم، وإقامة الحجة عليهم، حيث كانوا يوجدون في مجتمع المدينة بعد الهجرة؛ وهو موجود بصورة واضحة في البقرة، وآل عمران، والتوبة.

٣ – الكشف عن حقيقة النّفاق وشرح صفات المنافقين وأحوالهم، والنّفاق لم يظهر في عهد النّبيّ ﷺ حتّى مكّن الله لهذا الدّين، فصار بعض النّاس يستترون بالإسلام في الظّاهر خوفا من سلطان الحقّ وأهله، وهم يسرّون له العداوة والكيد والتّآمر.

٤ –ذكر كل الأحكام الخاصة بالجهاد والحروب والغزوات، وما بينها من صلح ومعاهدات، وما فيه من غنائم، وفيء، وأسر، كما نجد ذلك في: البقرة، والأنفال، والتوبة، ومحمد، والفتح.

٥ – طول الآيات بما يتناسب مع الشّرح والبيان لشرائع الإسلام، وأحكامه في أسلوب يغلب عليه هدوء العبارة ولينها، في خطاب يغلب فيه النداء الإيماني (١٥).

من فوائد معرفة المكي والمدني(١٦):

كما سبق: اهتم العلماء بدراسة المكي والمدني من الآيات، وتتبعوا أقوال الصحابة في ذلك، إذ لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق الصحابة الذين عايشوا تلك المرحلة الزمنية، واهتمام العلماء بذلك مؤشر واضح على عناية علماء المسلمين بالقرآن، وتوثيقه، وتتبع لمراحل نزوله، وتحديد لتاريخ كل آية وموطن نزولها". وهذه الفوائد التي ذكروها مبنية على الزمان؛ إذ المكي متقدم على المدني قطعاً، وقد أشار الشاطبي ت٧٩٠هـ إلى منْزلة المتأخر من المتقدم في النُّزول، فقال: «المدني من السور ينبغي أن يكون مُنَزلاً في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض؛ على حسب ترتيبه في التنْزيل، وإلا لم يصحَّ، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه؛ دلَّ على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون بيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله»(١٧).

١ – تمييز الناسخ من المنسوخ، لنأخذ بالحكم الناسخ ونترك الحكم المنسوخ، وبيان ذلك أنه إذا وردت آيات من القرآن في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هذه الآيات مخالفا للحكم في غيرها، ثم عرفنا أن بعضها مكّي وبعضها مدني، فإننا نحكم بأن المدني ناسخ للمكّي نظرا لتأخّر المدني عن المكّي.

---

[١٥] المقدمات الأساسية في علوم القرآن د. عبد الله يوسف الجديع ص ٥٨ –٥٩ بتصرف. ويراجع المدخل لعلوم القرآن الكريم د. إسماعيل الميمني ص٥١–٥٢.

[١٦] – المحرر في علوم القرآن: د. فهد الرومي ص١١٥.

[١٧] – الموافقات، للشاطبي ٤٠٦/٣.

٢ – ومن فوائد هذا العلم معرفة تاريخ التشريع الإسلامي، وتدرّج المشرع الحكيم في نقل الناس إلى المنهج الإسلامي المتكامل.

٣ – الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من أي تغيير أو تحريف، ويدلّ على ذلك اهتمام المسلمين بالقرآن وتاريخ نزوله، وتسجيل دقائق نزوله الزمانية والمكانية، ونقلها بكل أمانة وضبط.

٤ – أنه يبصّر المؤمن والمفسّر بمعنى الآية، ومثال ذلك: أن من يقرأ سورة: (قل يا أيها الكافرون) ويعلم أنها مكية، ونزلت عند ما قال بعض زعماء المشركين للنبي ﷺ: نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة أخرى (١٨)، فإن هذا العلم بمكان النزول وزمانه وسببه يحجز عن الخطأ في تفسيرها وفهمها(١٩).

٥ – دراسة مراحل تاريخ الدعوة الإسلامية خلال المرحلتين المكية والمدنية، والمنهج الذي رسمه القرآن للدعوة في مراحلها المختلفة، فكانت موضوعات السور المكية تتحدث عن قضية العقيدة خاصة، وتعددت صور عرضها، في أسلوب قوي مؤثر، لأنه كان يخاطب أناسا غلب عليهم الشرك وفساد العقيدة، فلما استقرت العقيدة الصحيحة في قلوب الجماعة المؤمنة التي تكونت في المدينة عندها أنزل الله تعالى الفرائض والحدود في أسلوب متمهل مترسل يناسب مخاطبة القلوب المؤمنة(٢٠). ومنه يمكن استفادة المنهج السّليم للدّعوة إلى الله عز وجلّ.

٦ – تحديد السور المكية والسور المدنية وترتيبها:

لطول المدة التي نزل فيها وتعدد مرات نزول الوحي، وتنوع الظروف التي ينزل فيها، لم يعد ممكنا ترتيب القرآن على تواريخ تنزلاته، وترتيب القرآن في سورة على نحو آخر غير ترتيب النزول، وقد سأل ابن سيرين عكرمة مولى ابن عباس: ألّفوه الأوّل فالأوّل؟ فقال عكرمة: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا (٢١). لكن علماء القرآن من الصحابة والتابعين تمكنوا من تحديد السور المكية والسور المدنية وأن يرتبوها ترتيبا تقريبيا حسب أوقات نزولها، معتمدين في ذلك على نزول أول السورة، كما روي عن ابن عباس أنه قال: «كانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء» (٢٢).

٧ – تحديد خصائص كل من الآيات المكية والمدنية عن طريق الاستقراء والتتبع، من الناحية الموضوعية والأسلوبية.

---

[١٨] – الدر المنثور ٨/ ٦٥٤.

[١٩] – الواضح في علوم القرآن مصطفى ديب بغا ص ٦٧.

[٢٠] – محاضرات في علوم القرآن: د. غانم قدوري ص ٨٠-٨١.

[٢١] – فضائل القرآن: ابن الضريس ص٧٦.

[٢٢] – فضائل القرآن ص٧٣.

٨ -الوقوف على سيرة النبي ﷺ وذلك لأن نزول القرآن على النبي ﷺ ساير تاريخ الدعوة بمراحلها المختلفة، حيثما كان، ومن هنا كان القرآن الكريم هو المرجع الأصيل للسيرة النبوية، وعليه تصحيح روايات أهل السير التي ليس لها سند صحيح.

عدد السور المكية والسور المدنية:

اختلف العلماء في عدد السور المدنية، وقد نقل السيوطي عن ابن الحصار

أن المدني عشرون سورة، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة وما عدا ذلك مكي(٢٣).

السور المدنية: اثنتان وعشرون هي:

البقرة، آل عمران، النّساء، المائدة، الأنفال، التّوبة، النّور، الأحزاب، محمّد ﷺ، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصّفّ، الجمعة، المنافقون، الطّلاق، التّحريم، البيّنة، النّصر. هذه السّور لا يوجد اختلاف معتبر في كونها مدنيّة.

أمّا ما اختلف فيها والرّاجح أنّها مدنيّة، فهي: المطفّفين، الفلق، النّاس (٢٤).

واختلفوا في اثنتي عشرة سورة هي:

الفاتحة، الرعد، الرحمن، الصف، التغابن، المطففين، القدر، البينة، الزلزلة، الإخلاص، الفلق، الناس(٢٥).

---

٢٣ – الإتقان: السيوطي ج١ ص١١

٢٤ – قال الدكتور عبد الله الجديع في المقدمات الأساسية ص ٦٤: "هناك اختلاف يسير في بعض ما أوردته في السّور المكّيّة والمدنيّة، لكنّه ضعيف لم يدلّ عليه أثر ثابت ولا دلّت عليه خصائص السّور، فلم أعتبره.

ومن سبب الاختلاف في تحديد المكّيّ والمدنيّ في بعض سور القرآن عدم استقامة القاعدة عند بعض المفسّرين، فربّما لوجود بعض الآيات المدنيّة في سور مكّيّة صيّر البعض تلك السّورة مدنيّة، كما وقع في سورة الحجّ مثلا، وأحيانا باستعمال المفسّر لبعض الخصائص الّتي لا تطّرد دائما، أو غير ذلك. واعلم أنّه نقل عن ابن عبّاس وابن الزّبير تعيين جميع المكّيّ والمدنيّ في سياق واحد، ولا يثبت شيء من ذلك من جهة الإسناد. والتّرجيح الّذي ذكرته تحت (ما اختلف فيه، والرّاجح أنّه مكّيّ)، و (ما اختلف فيه والرّاجح أنّه مدنيّ) فهو باستعمال خصائص المكّيّ والمدنيّ المتقدّم ذكرها في أكثره، مع اعتضاد بعض السّور بمرجّحات أخرى، تصير إلى تأكيد كون السّورة مكّيّة أو مدنيّة

٢٥ – وراجع المقدمات الأساسية للدكتور الجديع ص ٦٤-٦٦ ففيه مبحث مهم تناول فيه أرجحية كون الفاتحة والرحمن والمطففين والفلق والناس سورًا مدنية.

الآيات المدنية في السور مكية:

علمنا أن القرآن الكريم نزل بداية في مكة المكرمة، ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة نزل عليه القرآن فيها كذلك، إلا أن هناك آيات مما نزل في المدينة قد أُمر رسول الله ﷺ بوضعها في سور مكية، ومنها مكية أُمر بوضعها في سور مدنية، -على قلة- فليس ذلك يكثر في أي منهما؛ لكنها حكمة إلهية لا تخل بنظم كلام الله تعالى ولا سبكه، فلا يلحظ غير المتخصص دقيق النظر هذا، وهو من صور الإعجاز التي لا يلتفت إليها.

يقول الدكتور الجديع: "الوصف للسّورة بأنّها (مكّيّة) إنّما هو بحسب الأغلب الأعمّ في سور القرآن، تكون السّورة مكّيّة بجميع آياتها، والقرآن كما بيّنا في نزوله كانت تنزل الآية فيقول النّبيّ ﷺ: «ضعوها في موضع كذا»، لذا جاءت بعض الآيات المدنيّة ضمن سور مكّيّة، وثبتت بذلك الرّواية، كذلك جاءت آية مكّيّة ضمن سورة مدنيّة. وقمت بتتبّع ذلك بأسانيده، فخلصت منه إلى أنّ الّذي ثبتت به الرّواية من المدنيّ في المكّيّ في تسع سور، هي كالتّالي:

١ - في سورة هود: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [الآية: ١١٤].

٢ - وفي سورة النّحل: ﴿وَإِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [الآية: ١٢٦].

٣ - وفي سورة الإسراء: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الآية: ٨٥].

٤ - وفي سورة الحجّ ثلاثة مواضع:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ...﴾

و﴿هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيابٌ مِنْ نارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّما أَرادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيها وَذُوقُوا عَذابَ الْحَرِيقِ (٢٢)﴾ [الآيات: ١٩ - ٢٢]. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)﴾[الآيتان: ٣٩ - ٤٠].

٥ - وفي سورة يس: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾ [الآية: ١٢].

٦ – وفي سورة الزّمر موضعان: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ ٥٥ ﴾ [الآيات: ٥٣ – ٥٥] ﴿وَما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: ٦٧].

٧ – وفي سورة الشّورى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الآية: ٢٧].

٨ – وفي سورة الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠﴾ [الآية: ١٠].

٩ – وفي سورة التّغابن: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: ١٤]. وموضع مجيء المكّيّ في المدنيّ، هو قوله تعالى في سورة الحديد:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾ [الآية: ١٦]"(٢٦).

الآيات المكية في السور المدنية:

– أن الآيات المكية في السور المدنية: لا يُقصد بوصف السورة بأنها مكية أو مدنية أنها بأجمعها كذلك، فقد يكون في المكية بعض آيات مدنية، وفي المدنية بعض آيات مكية، ولكنه وصف أغلبي حسب أكثر آياتها، ولذا يأتي في التسمية: سورة كذا مكية إلا آية كذا فإنها مدنية، وسورة كذا مدنية إلا آية كذا فإنها مكية – كما نجد ذلك في المصاحف. ومن أمثلة الآيات المكية في السور المدنية "سورة الأنفال" مدنية، واستثنى منها كثير من العلماء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: آية ٢٠]، قال مقاتل في هذه الآية: نزلت بمكة، وظاهرها كذلك، لأنها تضمنت ما كان من المشركين في دار الندوة عند تآمرهم على رسول اللهﷺقبل الهجرة، واستثنى بعضهم كذلك: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: آية ٦٤] لما أخرجه البزّار عن ابن عباس أنها نزلت لما أسلم عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه.

---

٢٦ – المقدمات الأساسية ص ٦٧–٦٨.

ماله حكم المكي في السور المدنية وماله حكم المدني في السور المكية:

– كذلك الآيات المدنية في السور المكية: ومن أمثلة الآيات المدنية في السور المكية "سورة الأنعام" قال ابن عباس: نزلت بمكة جملة واحدة. فهي مكية إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شيئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: آية ١٥١-١٥٣]. و"سورة الحج" مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة، من أول قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[الحج: آية ١٩].

– **ما نزل بمكة وحكمه مدني:** ويمثلون له بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: آية ١٣]. فإنها نزلت بمكة يوم الفتح، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة، والخطاب فيها عام، ومثل هذا لا يسميه العلماء مكيًّا، كما لا يسمونه مدنيًّا على وجه التعيين، بل يقولون فيه: ما نزل بمكة وحكمه مدني.

– **أيضًا: ما نزل بالمدينة وحكمه مكي:** ويمثلون له بسورة الممتحنة، فإنها نزلت بالمدينة، فهي مدنية باعتبار المكان، ولكن الخطاب في ثناياها توجه إلى مشركي أهل مكة.. ومثل هذا صدر سورة "براءة" نزل بالمدينة، والخطاب فيه لمشركي أهل مكة.

– **ما يشبه نزول المكي في المدني:** ويعني العلماء به ما كان في السور المدنية من آيات جاء أسلوبها في خصائصه وطابعه العام على نمط السور المكية، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة الأنفال – وهي مدنية: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: آية ٣٢] فإن استعجال المشركين للعذاب كان بمكة.

– **ما يُشبه نزول المدني في المكي:** ويعني العلماء به ما يقابل النوع السابق، ويمثلون له بقوله تعالى في سورة النجم: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾[النجم: آية ٣٢].. قال السيوطي: فإن الفواحش كل ذنب فيه حد، والكبائر كل ذنب عاقبته النار، واللَّمم ما بين الحدين من الذنوب، ولم يكن بمكة حد ولا نحوه(٢٧).

---

[٢٧] – الاتقان ١٨/١ الطبعة السابقة

المبحث الثالث: ما يتعلّق بالمكي والمدني

هناك أنواع ذكرها السيوطي في الإتقان، وهي قريبة من المكي والمدني كالحضري والسفري، والليلي والنهاري، والصيفي والشتائي، وما تقدم نزوله على حكمه، وما تأخر نزوله عن حكمه، وأيضا ذكر مما يتعلق بالمكي والمدني وما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة أو غيرها، وقد أفاض السيوطي رحمه الله في ضرب الأمثلة، وسأكتفي بضرب بعض الأمثلة، ومن أراد استيعابا فعليه بالرجوع إلى الإتقان (٢٨).

صور من متعلقات المكي والمدني:

١ – الحضري والسفري:

أكثر القرآن نزل في الحضر، ولكن حياة رسول الله ﷺ كانت عامرة بالجهاد والغزو في سبيل الله حيث يتنزل عليه الوحي في مسيره، وقد ذكر السيوطي لما نزل في السفر كثيرًا من الأمثلة(٢٩).. منها:

– قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ففي الصحيح عن عمر أنها نزلت عشية عرفة يوم الجمعة عام حجة الوداع.

– أول سورة الأنفال، نزلت ببدر عقب الواقعة، كما أخرجه أحمد عن سعد ابن أبي وقاص – وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[التوبة: آية ٣٤]. أخرج أحمد عن ثوبان أنها نزلت في بعض أسفارهﷺ.

– أول سورة الحج، أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين قال: "لما نزلت على النبي، ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[الحج: آية ١]. إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [آية ٢].. أنزلت عليه هذه وهو في سفر.

– سورة الفتح؛ ففي صحيح البخاري في قصة عمر مع رسول الله ﷺ أن النبي قال: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (١)» وكان ذلك منصرفه من الحديبية، وأخرج الحاكم في المستدرك عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها (٣٠).

---

[٢٨] – الإتقان: ١/ ١٨ – ٢٣.

[٢٩] – الإتقان: ١٨/١ وما بعدها.

[٣٠] – مباحث في علوم القرآن: مناع القطان ص ٤٨– ٥٤ بتصرف واختصار.

– سورة المرسلات؛ أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه: والمرسلات... الحديث.

٢ – النهاري والليلي:

نزل أكثر القرآن نهارًا، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية؛ ففي الصحيح أنها نزلت والنبي في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت؛ يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه.

أما ما نزل بالليل فقد تتبعه القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري واستخرج له أمثلة منها:

– أواخر آل عمران قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبابِ (١٩٠)﴾ [آل عمران: ١٩٠]: فقد أخرج ابن حبان في صحيحه وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في كتاب «التفكر» عن عائشة أن بلالا أتى النبيﷺ يؤذنه لصلاة الصبح، فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله ما يبكيك قال: «وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل عليّ هذه الليلة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ» الآية، ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر».

– ومنها: آية الثلاثة الذين خُلِّفوا، وهي ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة:١١٨] الآية، ففي الصحيحين من حديث كعب بن مالك: "فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الأخير من الليل"(٣١). والثلاثة: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع.

– ومنها: أول سورة الفتح، ففي البخاري من حديث عمر: "لقد نزلت عليَّ الليلة سورة هي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس"، فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: آية ١]

٣ – الصيفي والشتائي(٣٢):

---

[٣١]– لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) سورة التوبة وهم الذين عذرهم الله في التخلف عن غزوة تبوك.

[٣٢] – الظاهر أن مرادهم بالصيف أيام الحر وما يقرب منها وبالشتاء أيام البرد وما يدنو منها، وبهذا الاعتبار تكون السنة ما بين صيف وشتاء، إذ أيام الاعتدالين الربيع والخريف إما قريبة من الصيف أو قريبة من الشتاء.

مما لا شك فيه أن القرآن نزلت منه آي كثيرة في الصيف، وآي كثيرة في الشتاء وقد أحصى أحد العلماء بعضا من ذلك فمن أمثلة الصيفي:

من أمثلة الصيفي:

– قال الواحدي: أنزل الله في الكلالة آيتين؛ إحداهما في الشتاء، وهي التي في أول النساء وَإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً [النساء: ١٢] إلخ، والأخرى في الصيف وهي التي في آخرها ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] الآية، ويمثل العلماء لما نزل صيفًا بآية الكلالة التي في آخر سورة النساء، ففي صحيح مسلم عن عمر قال: "ما راجعت رسول الله ﷺ في شيء ما راجعته في الكلالة، وما أغلظ في شيء ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر النساء" ؟(٣٣). وقد كان ذلك في سفر حجة الوداع، فيعد من الصيفي ما نزل فيها كأول المائدة و ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

–ومن أمثلته الآيات التي نزلت في غزوة تبوك، فإنها كانت في الصيف في شدة الحر كما في القرآن نفسه(٣٤).

– الآيات النازلة في غزوة تبوك؛ فقد كانت في شدة الحر كما دل عليه القرآن والسنة. وذلك مثل: ﴿لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصِداً لَاتَّبَعُوكَ﴾ الآية،

– ومثل آية ﴿وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

– وآية: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة الآية: ٤٩].

من أمثلة الشتائي:

– يمثلون للشتائي أيضًا بآيات حديث الإفك في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾[النور: آية ١١]... إلى قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية ٢٦] ففي الصحيح عن عائشة: "أنها نزلت في يوم شات".

– الآيات التي نزلت في غزوة الخندق في سورة الأحزاب، فقد كانت في شدة البرد كما يدل على ذلك القرآن، وما ذكر في المغازي، ففي حديث حذيفة تفرق الناس عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب إلا اثنى عشر رجلا

---

٣٣ – ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)﴾ سورة النساء.

٣٤ – ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)﴾ سورة التوبة

فأتاني رسول اللهﷺ فقال: «قم فانطلق إلى معسكر الأحزاب» قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت لك إلا حياء من البرد...الحديث، وفيه فأنزل الله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾ [الأحزاب: ٩ وما بعدها] إلخ الآيات، أخرجه البيهقي في الدلائل.

٤ – ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه (٣٥):

فمن أمثلة ما تأخر حكمه عن نزوله:

– قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥)﴾ [القمر آية: ٤٥] فقد نزلت بمكة قطعا ولم يكن شرع الجهاد، وقد استشكل عمر ذلك ثم تبين له أن المراد بالجمع جمع بدر، فقد روي عنه أنه قال حين نزلت الآية: أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول اللهﷺفي آثارهم مصلتا بالسيف يقول ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ فكانت ليوم بدر، أخرجه الطبراني في الأوسط فيكون من الإشارات والنبوءات الغيبية التي أظهرت الأيام صدقها، وكانت من دلائل النبوة.

– قوله تعالى: ﴿قُلْ جاءَ الْحَقُّ وَما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَما يُعِيدُ (٤٩)﴾ [سبأ آية: ٤٩] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود أن المراد بالحق السيف، يعني الجهاد، واستشكل بأن الآية مكية متقدمة على فرض القتال، والجواب أن هذا مما تقدم نزوله على حكمه، ويؤيد تفسير ابن مسعود ما أخرجه الشيخان من حديثه أيضا، قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول: ﴿جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ إِنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً﴾ ﴿وَما يُبْدِئُ الْباطِلُ وَما يُعِيدُ (٤٩)﴾ أقول: والمتبادر من الحق أنه الأمر الثابت، فتفسيره بالجهاد غير قوي، ويكون المراد بالحق الدين الحق، أو كلمة التوحيد.

ومن أمثلة ما تأخر نزوله عن حكمه:

– آية الوضوء؛ ففي صحيح البخاري عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقدا، وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ إلى قوله لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فالآية مدنية إجماعا، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة؛ قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء،

---

٣٥ – الإتقان ١/ ٣٧.

ولا يدفع ذلك إلا جاهل أو معاند، قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقدم العمل به ليكون فرضه متلوا بالتنزيل، وجوز غيره أن يكون أول الآية نزل مقدما مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها، وهو ذكر التيمم في هذه القصة، ويرد هذا الاحتمال أن الآية مدنية بالإجماع.

– ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة آية ٩]. مدنية، والجمعة فرضت بمكة، وأما ما قاله ابن الغرس: إن إقامة الجمعة لم تكن بمكة قط فيرده ما أخرجه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: "كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الآذان يستغفر لأبي أمامة أسعد بن زرارة فقلت: يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال: أي بني كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله ﷺ من مكة"؛ أقول: وهذا إنما يصلح للرد إن أراد ابن الغرس بقوله هنا إنها لم تفرض قبل الهجرة، أما إن أراد أنها لم تؤد بجماعة بمكة فلا يصلح ردّا عليه.

٥ – ما حمل من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة ونحوها:

ما حمل من مكة إلى المدينة:

– سورة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى: آية ١]، فقد أخرج البخاري عن البراء بن عازب أنه قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرءاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأت سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ في سور مثلها من المفصل.

ما حمل من المدينة إلى مكة:

– ومن أمثلته: أول سورة "براءة"، حيث أمَّر رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج في العام التاسع. فلما نزل صدر سورة "براءة" حمَّله رسول اللهﷺ عليَّ بن أبي طالب ليلحق بأبي بكر حتى يبلِّغ المشركين به. فأذَّن فيهم بالآيات وأبلغهم ألا يحج بعد العام مشرك.

ومن ذلك: آية الربا في سورة البقرة: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٧٨)﴾ فقد اختلف بنو عمرو بن عمير من ثقيف مع بني المغيرة بن عبد الله، ورفعوا الأمر إلى أمير مكة عتاب

ابن أسيد فرفع الأمر إلى رسول الله فنزلت فأرسل بها النبي إلى عتاب بن أسيد (٣٦).

ما حمل من مكة إلى الحبشة:

ومثاله:

سورة مريم فقد صح أن جعفر بن أبي طالب قرأها على النجاشي لما ذهب رسولا قريش إلى النجاشي كي يرد المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة إلى مكة؛ فأبى حتى يسمع كلامهم، فتكلم جعفر بن أبي طالب فأحسن وأجاد، فقال له النجاشي، هل معك من شيء مما جاء به عن الله تقرؤه عليّ فقال جعفر: نعم، وقرأ عليه سورة مريم، فلما سمع النجاشيّ السورة قال: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، وقال البطارقة: هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح.

ما حمل من المدينة إلى الروم:

ومثاله:

قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ فقد صح أن رسول الله ﷺ كتبها في الكتاب الذي بعث به إلى هرقل عظيم الروم (٣٧) والمقوقس عظيم مصر.

٦ – ما نزل مفرقا وما نزل جمعًا:

أما الأول فأمثلته كثيرة لا يحصيها العدّ؛ لأن غالب القرآن نزل كذلك، فمن ذلك:

في السور القصار سورة اقرأ؛ فقد نزل صدرها إلى ﴿ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ والمدثر نزل صدرها إلى ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾ والضحى نزل صدرها إلى ﴿فَتَرْضى﴾ ثم نزلت أواخرها بعد هذا، وفي السور الطوال صدر سورة براءة، وصدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية، بسبب وفد نجران لما قدموا على النبي ﷺ.

ومثال الثاني في السور القصار: الفاتحة، والإخلاص، والكوثر، وتبت، ولم يكن، والنصر، والمعوذتان، وفي السور الطوال من المفصل، والمرسلات، وسورة الصف.

---

٣٦ – تفسير ابن كثير ٢/٦٤.

٣٧ – المرجع السابق ص ١٦٠.

ومما ذكروه من السور الطوال: سورة الأنعام، فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس قال: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون ألف ملك، وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك» وهذا الذي ذكروه غير مسلم، فإن سورة الأنعام، وإن كانت مكية إلا أن منها آيات مدنية قطعا (٣٨).

أما نزولها مشيعة فأمر محتمل إذا تثبت به الرواية، ويكون التشييع لجلها وما نزل منها لا لجميعها كما ذكروا، أو نقول: إن المراد بنزولها يشيعها سبعون ألف ملك نزولها من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة، ويكون نزولها مفرقة على النبي ﷺ فيما بعد ذلك(٣٩).

---

[٣٨] – الإتقان ١/٣٧.

[٣٩] – وراجع أيضا المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد محمد أبو شهبة ص ٢٥١-٢٥٩. فقد أفدت من تقسيمه رحمه الله.